طريقة النحاة في الاستدلال بالموضع على جنس العنصر اللغوي

الأستاذة : الخالدي حليمة
أستاذة مساعدة بقسم الأدب العربي
جامعة سعد دحلب – البليـــدة

مقدمة:

يعنى هذا البحث بتوضيح طريقة استدلال النحاة العرب بالموضع على جنس العنصر اللغوي باعتباره مكانا في مدرج الكلام يتحدد بما يمكن أن يأتي قبله أو بعده من قرائن لفظية في مدرج الكلام،ويربط العناصر التي تقع في نفس الموضع بحكم واحد،وفي هذا بيان لأهمية استخدام هذا المفهوم كمقياس مهم جدا لضبط القسم الذي تنتمي إليه هذه الكلمة أو تلك وكذا الحكم الذي ينبغي أن تأخذه من

*- في اللسانيات ونحو النص، إبراهيم خليل، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة ، عمان ، الأردن ، ط1 ، 2007

- تلقي رولان بارت في الخطاب العربي النقدي واللساني والترجمي" كتاب لذة النص"نموذجا"، محمد خير البقاعي،عالم الفكر، مج27 ع1، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، 1998

الدواوين الشعرية :

*- الديوان ، بشار بن برد ، تقديم إحسان عباس ، الناشر، دار صادر للطباعة والنشر ، ط2 ، 2000 .

*- الديوان ، البحتري ، دار صادر ، بيروت .

- المراجع الأجنبية :

usuel *760 dessins regroupé en 140 planches 288* ***-Dictionnaire*** *photos et un atlas48pages, Larousse, paris cedex06, 1989*

طريقة النحاة في الاستدلال بالموضع على جنس العنصر اللغوي

الأستاذة : الخالدي حليمة
أستاذة مساعدة بقسم الأدب العربي
جامعة سعد دحلب – البليـــدة

مقدمة:

يعنى هذا البحث بتوضيح طريقة استدلال النحاة العرب بالموضع على جنس العنصر اللغوي باعتباره مكانا في مدرج الكلام يتحدد بما يمكن أن يأتي قبله أو بعده من قرائن لفظية في مدرج الكلام،ويربط العناصر التي تقع في نفس الموضع بحكم واحد،وفي هذا بيان لأهمية استخدام هذا المفهوم كمقياس مهم جدا لضبط القسم الذي تنتمي إليه هذه الكلمة أو تلك وكذا الحكم الذي ينبغي أن تأخذه من

جراء حلولها في هذا الموضع أو ذاك.

و من المواضع التي استدلّ بها سيبويه على جنس العنصر اللغوي، الموضع الذي يلي حروف الجرّ ،و هو موضع خاصّ بالاسم، و مثل ذلك استدلاله على اسميّة "عن" في بعض المواضع يقول: « و أمّا "عن" فاسم إذا قلت: من عن يمينك لأنّ من لا تعمل إلاّ في الأسماء»[1] ، و مثله أيضا قوله في "على" التي اعتبرها اسما «بمنزلة "فوق" و إن خالفتها في أكثر المواضع، سمعنا من العرب من يقول: نهضت من عليه كما تقول: نهضت من فوقه»[2] ، و هو ما يتّضح عند الرضي الاستراباذي حين قال: «و قد يكونان أي: "عن" و "على" اسمين فلا يستعملان إلاّ مجرورين بـ "مِن°"، و إنّما تتعيّن اسميّتهما لأنّ الجرّ من خواصّ الأسماء». [3]

فلننظر كيف يستدلّ هنا على اسمية "عن" و "على" في هذه المواضع، و إن كانتا حرفين في الأصل، و ذلك لمجرّد وقوعهما في موضع الاسم الذي يتعيّن بعد حروف الجرّ، ذلك أنّ: «حروف الجرّ إنّما تدخل على الأسماء لا على الظروف، فكلّ منجرّ بجار عامل فيه فهو اسم». [4]

و يمكن توضيح هذا الاستدلال على النحو التالي:

العلامة	موضع الاسم
نهضت من	فوقه
نهضت من	عليه
نهضت من	عن يمينك

و هو الموضع نفسه الذي استدلّ به سيبويه أيضا على حرفية (حاشا)، و هذا لعدم صلاحية وقوعها في موضع الفعل، و هو الموضع الذي يلي "ما" الموصولة في باب الاستثناء يقول: «و أمّا "حاشا" فليس باسم، و لكنّه حرف يجرّ ما بعده كما تجرّ حتى ما بعدها، و فيه معنى الاستثناء. و بعض العرب يقول: ما أتاني القوم خلا عبد الله، فيجعل "خلا" بمنزلة "حاشا"، فإذا قلت: ما خلا فليس فيه إلاّ النّصب، لأنّ "ما" اسم، و لا تكون صلتها إلاّ الفعل ها هنا، و هي "ما التي في قولك: أفعلُ ما فعلتَ، ألا ترى أنّك لو قلت: أتوني ما حاشا زيدا، لم يكن كلاما».[5]

فلننظر كيف يعمد سيبويه إلى وضع "حاشا" موضع "خلا" فلمّا لم يستقم المعنى استنتج من ذلك حكما، و هو أنّ "حاشا" ليست بمنزلة "خلا" ؛ أي أنّها حرف في هذا الموضع، و ليست بفعل لامتناعها من الموضع الخاصّ به، و هو الموضع الذي استدلّ به أيضا سيبويه على فعلية "خلا" و "عدا" في مثل قولهم: «أتاني القوم ما عدا زيدا، و أتوني ما خلا زيدا، فـ "ما" هنا اسم، و "خلا" و "عدا" صلة له، كأنّه قال: أتوني ما جاوز بعضهم زيدا و ما هم فيها عدا زيدا، كأنّه قال: ما هم فيها ما جاوز بعضهم زيدا». [6]

فسيبويه ها هنا يستدلّ على فعلية "خلا" و "عدا" بصحّة وقوعهما في موضع "جاوز"، الذي هو موضع خاصّ بالفعل فحسب، و قد حدّدته قرينة "ما" الموصولة بعدها و هذا في باب الاستثناء.

و يمكن توضيح استدلال سيبويه على النحو التالي:

أتوني ما	جاوز بعضهم زيدا.
أتوني ما	خلا زيدا.

أتوني ما	عدا زيدا.

كما نجد "ابن السرّاج" أيضا يتّبع منهج سيبويه و يستدلّ بهذا الموضع؛ أي موضع الاسم الذي يتعيّن بعد حروف الجرّ على حرفيه "ربّ" و اسمية "كم" يقول: «و ممّا يتبيّن أنّ "ربّ" حرف و ليست باسم كـ "كم"، أنّ "كم" يدخل عليها حرف الجرّ، و لا يدخل على "ربّ"، تقول: بكم رجل مررت».[7].فـ "ربّ" حرف و ليست اسما لأنّها تمتنع عن مواضع الأسماء، و من بينها الموضع الذي يلي حروف الجرّ، هذا بخلاف"كم" التي تصلح له، و لذلك نزّلت منزلة الأسماء، و هو ما يؤكّده المبرّد في قوله: «و كم لا تكون إلاّ اسما ،ألا ترى أنّ حروف الخفض تدخل عليها...تقول: إلى كم رجل قد ذهبت فلم أره»[8] ، و هو ما يذهب إليه أيضا الرضي الإستراباذي في توضيحه لرأي البصريين في هذه المسألة، يقول: «و هي حرف جرّ (يعني ربّ) عند البصريين خلافا للكوفيين و الأخفش، وإنّما حملهم على ارتكاب جعلها حرفا...أنّهم لم يروها تنجرّ بحرف الجرّولا بإضافة كما تنجرّ "كم" فلا يقال: بربّ رجل، و لا غلام ربّ رجل». [9].

و يمكن توضيح هذا الاستدلال على النحو التالي:

العلامة	موضع الاسم
إلى	مئة رجل قد ذهبت
إلى	كم رجل قد ذهبت
بـ	كم رجل مررت

و من المواضع الخاصّة بالفعل-كما رأينا- الموضع الذي يلي قد و السين وسوف، و به استدلّ "ابن يعيش" على فعلية "كان" و أخواتها يقول: «و أمّا كان و أخواتها فهي من أفعال العبارة، واللفظ لأنّه تدخلها علامات الأفعال من نحو: قد والسين وسوف»[10] ، و لذا فإنّ "كان" وأخواتها أفعال وليست حروفا أو أسماء على الرّغم من مفارقتها للفعل الحقيقي الذي يدلّ على معنى وزمان؛ ذلك أنّ "كان" وأخواتها إنّما تدلّ على الزمان فحسب، لذلك سمّيت أفعال العبارة تمييزا لها عن الفعل الحقيقي، و قد توصّل النّحاة إلى هذا الحكم عن طريق الاستدلال بالموضع، ذلك أنّ وقوع هذه الأفعال قبل السين و قدوسوف- وهو موضع خاصّ بالفعل فحسب- جعلها تنزّل منزلتها و تندرج بذلك ضمن قسم الأفعال.

و يمكن توضيح هذا الاستدلال على النحو التالي:

العلامة	موضع الفعل
قد	دخل
قد	كان
سـ	أدخل
سـ	أكون
سوف	أدخل
سوف	أكون

كما احتكم إلى الموضع أيضا "ابن يعيش" في ردّ اسميّة "ليس" و تعيين فعليّتها بدليل «اتّصال الضّمير الذي لا يكون إلاّ في الأفعال بها على حدّ اتّصاله بالأفعال، و هو الضّمير المرفوع نحو قولك: لستُ و لسنا و لستَ و لستما و لستم و لستِ ولستنَّ،ولأنّ آخرها مفتوح كما في أواخر الأفعال الماضية، و تلحقها تاء التأنيث ساكنة وصلا ووقفا نحو: ليست هند قائمة»[11] ، و هو ما يؤكّده المبرّد

في قوله: «أمّا الدّليل على أنّها فعل فوقوع الضّمير الذي لا يكون إلاّ في الأفعال فيها، نحو: لستُ منطلقا و لست ولستما و لستمْو لستنّ،و ليستْ أمَةُ الله ذاهبة، كقولك: ضربوا وضربا و ضربت».[12].فوقوع "ليس" قبل ضمائر الرّفع البارزة، و كذا "تاء" التأنيث الساكنة- و هو موضع خاصّ بالفعل- دليل عندهما على أنّ "ليس" فعل و ليست حرفا أو اسما، وهو ما ذهب إليه أيضا "ابن عصفور" بعدما دحض حجج من يقول أنّ "ليس" حرف، و هذا لامتناعها من التصرّف، يقول: «فإن قيل: و ما الذي يدلّ على أنّها فعل؟ فالجواب: إنّ الذي يدلّ على ذلك لحاق علامة التأنيث لها على حدّ ما تلحق الفعل، أعني أنّها تثبت مع المؤنث و تسقط مع المذكّر، نحو: ليس زيدٌ قائما، و ليستْ هند قائمة، كما تقول: قام زيد و قامت هند...و يدلّ على ذلك أيضا اتّصال ضمائر الرّفع بها، نحو: ليسا وليسوا، و لو كانت حرفا لم يكن ذلك فيها...فثبت أنّها فعل».[13] .

و يمكن توضيح ذلك على النحو التالي:

موضع الفعل	علامته
قامـ	ـتْ
ليسـ	ـتْ
ليسـ	ـا
ليسـ	ـوا
لسـ	ـتُ

كما استدلّ المبرّد بموضع الفعل الذي تحدّده نون الوقاية قبلها على فعليّه "أفعل" التعجّب لوقوعها في هذا الموضع، «لأنّك إذا قلت: ما أحسن زيدا فرددت ذلك إلى نفسك قلت: ما أحسنني، لأن "أحسن" فعل فيظهر المفعول بعده كما يظهر بعد "ضرب"، و لو كان اسما لظهرت بعده ياء واحدة إذا أراد المتكلّم نفسه نحو قولك: هذا غلامي»[14] ، و يقول ابن السراج أيضا: «و قولك: ما أحسنني يعلمك أنّه فعل، و لو كان اسما لكان ما أحسنني مثل: ضاربي، ألا ترى أنّك لا تقول: ضاربني»، [15] و تقول: «ما أحسن و أجمل زيدا إن نصبت "زيدا" "بأجمل"، فإن نصبته "بأحسن" قلت: ما أحسن و أجمله زيدا، تريد: ما أحسن زيدا و أجمله...فهذا يبيّن لك أنّ "أحسن" و "أجمل و ما أشبه ذلك أفعال».[16]

فأساس الاستدلال عندهما ها هنا يقوم على أساس فكرة الموضع، حيث يحكم بفعلية "أفعل" التعجّب لمجرّد وقوعها في موضع الفعل، و هو الموضع الذي يتحدّد قبل نون الوقاية.

و يمكن توضيح هذا الاستدلال على النحو التالي:

	موضع الفعل	علامته
	ضربـ	ـني
	دفعـ	ـني
	أحسنـ	ـني
ما	أجملـ	ـني

و من المواضع التي لا تكون إلاّ للفعل في مدرج الكلام، الموضع الذي يسبق "تاء" التأنيث السّاكنة، و به استدلّ "ابن السراج" على فعليّة "نعم" و "بئس"، و هذا ما يظهر في قوله: «و يوضّح لك أنّ نعم وبئس فعلان أنّك تقول: نعم الرجل كما تقول: قام الرجل، و نعمت المرأة، كما تقول: قامت المرأة». [17] .

خاتمة :

و يضيق مجال القول هنا عن استيعاب أمثلة هذا المبدأ لديهم، و لعلّ فيما تقدّم دليلا مقنعا يصوّر مدى اهتمام النّحاة العرب بمفهوم الموضع، و اعتباره مقياسا مهمّا يعيّن في كثير من الأحيان على تحديد أصناف الكلم على اختلاف أنواعها، فقد تبيّنا كيف أنّ الكثير من الأحكام التي توصّلوا إليها- فيما يخصّ تصنيف الكلم- يقوم على أساس هذا المبدأ، و هذا إنْ دلّ على شيء فإنّما يدلّ على وعي كبير و إدراك حقيقي لقيمة هذا المفهوم، و اعتباره «أمرا علميا تسوّغه الرّغبة في الوصول إلى قوانين منسجمة غير متناقضة قادرة على ضبط تباينات الحرف مع الاسم و الفعل و تفسيرها ضمن تصوّر كليّ عام لعلم النحو»[18] ،وإثبات أحكام نحوية لفظا أي بما هو ملموس ثابت.

الهوامش :

- سيبويه أبو بشر عثمان بن قنبر: الكتاب،تحقيق عبد السلام محمد هارون الهيئة المصرية العامة للكتاب،1975م.ج4، ص 288.
- سيبويه : المصدر السابق،ج3، ص268.
- الاستربـاذي رضي الدين بن الحسن: شرح الكافية في النحو لابن الحاجب،شرح وتحقيق عبد العال سالم مكرم،عالم الكتب،ط1،2000م.ج6،ص 77.
- ابن السراج محمد بن سهل: -الأصول في النحو،تحقيق عبد السلام الفتلي،مؤسسة الرسالة،ط1،1985م.ج1،ص 188.
- سيبويه : المصدر السابق،ج2، ص349 – 350.
- سيبويه : المصدر السابق،ج2،ص 349.
- ابن السراج : المصدر السابق ، ج1،ص 416.
- المبرد محمد بن يزيد: المقتضب،تحقيق حسن محمد،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،ط1،1999م.ج3،ص 49.
- الاستراباذي : المصدر السابق ، ج6،ص 35.
- ابن يعيش موفق الدين علي بن يعيش : شرح المفصل،مكتبة المتنبي بالقاهرة،عالم الكتب،بيروت،لبنان،د.ت.ج2،ص 96.
- ابن يعيش : المصدر السابق،ج7،ص 111.
- المبرد :المصدر السابق ،ج4،ص 378 – 379.
- ابن عصفور أبو الحسن علي الحضرمي الاشبيلي: شرح جمل الزجاجي،قدّم له ووضع هوامشه وفهارسه فواز الشعار،إشراف: إميل بديع يعقوب،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،ط1،1998م.ج1،ص 362 – 363.
- المبرد : المصدر السابق،ج4،ص 185.
- ابن السراج: المصدر السابق،ج1،ص 101.
- المصدر نفسه،ج1،ص 105 – 106.
- المصدر نفسه،ج1،ص 144.
- حسن خميس الملخ: التفكير العلمي في النحو العربي:الاستقراء،التحليل،التفسير،دار الشروق،ط1،2001م،ص 134.

من جماليّات لفظ "الرّحمن" في القرآن الكريم
التفاتة سيميائية – صوتية لبعض الآيات الكريمة

الأستاذ (ة): وهيبة قاني
قسم اللغة الإنجليزية
كلية الآداب – جامعة البليدة

عتبة:

الجمال ،، كلمة أخّاذة فتن بها الإنسان منذ بدء الخليقة ، فأحبّ الأرض بخضرتها وما يمشي عليها ، و السماء بصفائها وما يدور من نجوم وكواكب تتلألأ فيها ، والبحر وكائناته وما ينتفع به منه ومنها، وللجمال معنى لا يجد حيّزه الكتابي إلاّ إذا تموقع بركازة في أعماق النفس، فهو شعور فطريّ ألهمه الله سبحانه عمّار الأرض ، حتى يعلموا قدرة الصانع -عزو جل- وعظمة جماله وجلاله ، إذ لا يحسن صنع باقة ورد جميلة إلاّ ذو إحساس جميل على الفارق بين المثالين ، وإذا كانت جمالية الخلق فتنة للعين ، وجماليّة الخُلق جاذبية للنفس ، فإن في القرآن أسرار الجمال والإجلال معا.

ولأن علمنة الأدب طالت كل أنواع النصوص بما فيها المقدسة ، فإنّ المقاربات النقديّة الحديثة امتدت حتى إلى القرآن الكريم ،وجعلت منه " رقعة نصية "- باصطلاح لفظي النّص و النّقد - تستمدّ منها ملامح أدبيّة وشاعريّة العلاقة ، ليس للتدليل على أدبيّته ، فالقرآن الكريم أجلّ وأقدس ،وإنما تبيانا لقابلية دراسته لجميع المقاربات النقديّة الحديث ، وبرهانا على غناه بأعلى

السمات الجماليّة .

لفظ" الرحمن" بين المعجم العربي والدلالة السياقية :

1– في المعجم العربي:

1- 1- يقول **"ابن منظور " في " لسان العرب "** عن كلمة " الرّحمن " «أنها بنيت على "فعلان" لأن معناه الكثرة، وذلك لأن رحمته وسعت كلّ شيء. قال الفارسي : إنه قيل (بسم الله الرحمن الرحيم) فجيء بالرحيم بعد استغراق " الرّحمن " معنى الرحمة ، لتخصيص المؤمنين به في قوله تعالى: (و كان بالمؤمنين رحيما) قال الأزهري " لا يجوز أن يقال " رحمن" إلا لله – عز و جل – فالرحمن الذي وسعت رحمته كل شيء ، فلا يجوز أن يقال " رحمن " لغير الله.»[174]

هذا ونجد الدكتور " تمام حسان " يشير إلى أن للـ"رحمن " دلالة على الألوهية تضعه بإزاء لفظ " رحيم " و دلالته على الربوبية ، موردا جملة من الأمثلة القرآنية ورأى بعض المفسرين أن "الرحمن " يتفق في المعنى مع "الرحيم "على نحو ما يتفق لفظا " ندمان "و"نديم"وفوَّق آخرون بينهما في المعنى إذ رأوا في "الرحمن "مبالغة ليست في "الرحيم ", أو أن "الرحمن " يرحم الخلق جميعا ,على حين يرحم الرحيم المؤمنين دون غيرهم».

1 -2- **في القاموس المحيط للفيروزآبادي:**

«الرحمن اسم من أسماء الله عز وجل ,ومعناه عند أهل اللغة ذو الرحمة التي لا غاية بعدها في الرحمة ,لأن فعلان بناء من أبنية المبالغة ، ورحيم فعيل بمعنى فاعل وكذلك رجل رحوم وامرأة رحوم , ولا يجوز أن يقال "رحمن "إلا لله عز وجل . »[175]

ومنه, فإن لفظ "الرحمن" عند "ا بن منظور"و"ابن فارس" اختصت به الذات الإلهية العلنية وهو اشمل واعم من "رحم" في الاستعمال القرآني ,وفيه تتسع مساحة الرحمة ، فينزلها سبحانه على الكافر والمؤمن ,المحسن والمسيء ,ومن جهة ثانية تضيق دائرة استعمال كلمة "الرحمن"، بل كما ذكر أعلاه لا يصح ذكرها إلا بنية كونها صفة لله عز وجل .

2 - من الدلالة السياقية للفظ " الرحمن" في القرآن لكريم :

إن"الرحمن" حين تتموقع في نحو قوله سبحانه «ما يمسكهن الا الرحمن»**الملك 19** ،تعلن أنه جل وعلا يمسك الطيور المحلقة بنواميس الوجود المتناسقة ذلك التناسق العجيب ،الملحوظ فيه كل صغيرة وكبيرة ، المحسوب فيه حساب الخلية والذرة ...النواميس التي تكفل توافر آلاف الموافقات في الأرض والجو خلق الطير ,لتتم هذه الخارقة وتتكأرر ، وتظأل تتكرر بانتظام, و" الرحمن " يمسكهن بقدرته القادرة التي لا تكلّ ، وعنايته الحاضرة التي لا تغيب »[176] .

وفي مجاورة "يمسكهن "إلا "الرحمن" ، إشارة لطيفة إلى ما يكتنف عملية الإمساك من حنان ولطف ورقة ,كيف لا ومن أسمائه "اللطيف" إنه القوي الجبار, يمسك الطير الضعيفة برحمته التي وسعت كل شيء .

- وحين يرد لفظ "الرحمن" في قوله تعالى على لسان نبيه إبراهيم عليه السلام(يا أبت إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا) **مريم 45** ,يلوح لنا الخليل عليه السلام وهو يخاطب أباه بأسلوب عارم بشجن النبوة المشفقة على سبب وجودها في الحياة ،إنه يستخدم مع كلمة "الرحمن" أمارات خاصة تستميل إليه نفس أبيه وتحني إليه أعطاف قلب الوالد الجافي منها: 1- بدء

---

[174] لسان العرب:ابن منظور

[175] الفيروزآبادي : القاموس المحيط ، شركة و مطبعة مصطفى البابي الحلبي و أولاده ، مصر ، ط2 ، 1952 ، م2 ، ج 14 ، ص :119.

[176] سيد قطب : في ظلال القرآن ، دار الشروق ، ط10 ، 1981 ، لبنان ، م6 ، ج26 ، ص:3642.

الآية بالنـداء المتوسل المستعطف (يا أبت) .
2- عدم تصريحه بلحوق العذاب بأبيه "أخاف"
3- إيثار الفعل "يمسك" بدل "يصيبك" .
4- ذكـره كلمـة "عذاب" للتقليل لا التعظيم ».[177]

- إن استخدامه -عليه و على رسولنـا السلام- كلمـة "عذاب" في دلالتهـا على شيء قلـيل منه مع كلمة "الرحمن" بما فيها من التعريف الدال على الاستغراق الكامل للرحمة وشمولها, الدليل على قمة الرجاء في مغفرة الله معفوه الواسعين ، وفيه إيحاء بأسلوب الترغيب الغالب دلاليا على الترهيب الوارد باحتشام فكلمة "أخاف" تشي بحرصه -عليه السلام- من تهديد أبيه وإن كان ظالما.

ومثال آخر, يقول فيه سبحانه (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا) **مريم96** ، حيث يصـور حالـة نفسيـة مضيئـة بفيوض المحبة "وللتعبـير بالود" في هذا الجو نداوة وحنو تمس القلـوب، وروح رضى يلمس النفـوس ،وهو ود يشيـع في الملأ الأعلى ثم يفيض على الأرض والناس فيمتلئ به الكون كله ويفيض »[178]، ذلك أن الإيمـان لا يكمـل إلا إذا تعلقـت قلوب المؤمنـين بربهـم وأحبتـه ليبادروا إلى العمل الصالح في حب وإقبال وقوم بهذا السمت والخلق أهل لأن يغدق عليهم ربهم "الرحمن" وابلا صيبا يتقاطر ودا وألفة .

من خلال هذه الالتفاتة القصيرة إلى الدلالتين المعجمية والساقية لبعض الآيات الكريمة الوارد فيها لفظ "الرحمن" يتبين مدى جمال المعنى المستقل له ,وعظمة جمال الدلالة لمواطن ذكره في مقام كل نص وآية , وفي تقص مستمر لجمالية "الرحمن" في القرآن الكريم نلج عالم الصوت والنغم .

في هذه المرحلة من الدراسة نتمثل المنهج الذي اعتمده "ابن جني" في تناوله الأصوات العربية إذ عمل على مستويين هما:

1«- النظر إلى صفة الحرف ومخرجه وحاله ،من حيث التفخيم والترقيق والشدة والرخاوة والجهر والهمس ,والإطباق والانفتاح ،والاستعلاء والاستطالة والتفشي وغير ذلك ،ثم بحث العلاقة بين هذه الأحوال والصفات ، وبين الدلالة الوضعية للكلمة .

2- النظر إلى دلالة الكلمة باعتبارها تركيبا صوتيا له بنية وهيئة بعينها ,بحيث يبحث العلاقة بين طريقة تركيب أحرف تلك الكلمة ,ومناسبة ذاك التركيب وتلك الهيئة للمعنى الذي وضعت له الكلمة»[179].

- جدول فونيمات لفظ "رحمن" مخارجا وصفات-

الصوت	المخرج	الصفة
الهمزة	حنجري	مرفق- مهموس- انفجاري
الراء	لثوي	تكراري- مجهور- متوسط
الحاء	حلقي	مرقق- مهموس- احتكاكي
الميم	شفوي-أنفي	مرقق- مجهور

[177] حسن طبل : علم المعاني ،مكتبة الإيمات ، ط2 ، 2004 ، مصر ،ص:171.
[178] سيد قطب : في ظلال القرآن ، م4 ، ج16 ،ص:2300.
[179] خالد, قاسم بني دومي : دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم,"جدارا" للكتاب العالمي للنشر والتوزيع و"عالم الكتب الحديث" للنشر والتوزيع , ط1 ,2006 , الأردن, ص 45 .
2ذات المرجع :ص45

الألف اللينة	حلقي	منحرف- لين
النون	لثوي-أنفي	مجهور- متوسط - لين

من خلال الجدول أعلاه ننطلق في تحليل الفونيمات المكونة للفظ"الرحمن" باعتباره "مورفيما" نساوق ذلك ببعض الملامح الدلالية التي يوحي بها كل "فونيم" على حدة أو بمجاورته فونيما آخر حيث تتعاضد الفونيمات في إنتاج معنى جمالي على ما ذهب إليه عباد الصيمري بقوله «أن واضع الألفاظ إزاء المعاني لم يضعها اعتباطا ، وإنما اختار لكل لفظ معناه الذي توحي به أصواته ».

1 -يبتدأ لفظ "الرحمن" بالهمزة ,وهي صوت حنجري ,قال عنه سيبويه ،أنه أبعد صوت من حيث المخارج ,يتصف بكونه مرفقا ، مهموسا وانفجاريا ، ولأنه عنصر بارز , يختفي إزاءه صوت "اللام" لعدم الحاجة الصوتية إليه ،أي أن اجتماعها يشكل "ال" الشمسية ، غير أنها أيضا تظل استغراقية ،ولا يمكننا قول شيء عن دلالته سوى أنه لازم هذه الصفة في جميع آي القرآن الكريم لتشمل رحمته - سبحانه وتعالى- كل خلقه .

2 -**الراء** : صوت لثوي المخرج ,يحدث بطرق اللسان اللثة مرات متتابعة ,وفي هذا التتابع إلحاح العبد حين يناجي ربه،وهو تكراري ، مجهور متوسط ,فيه من هبوط الدرجة ما يعتري المناجي من رقة ، وفيه جهر المناجي حين تسد أمام عينيه جميع الأبواب إلا باب "الرحمن" .

3 -**الحاء**:قال "ابن فارس" في هذا الصوت « ومما اختصت به لغة العرب الحاء والظاء»[180]وهو حلقي المخرج ، يتجه فيه استصدار لفظ "الرحمن" نحو الداخل ،مرقق ,مهموس ,احتكاكي يتدحرج عند إصدار النداء من الداخل إلى الأدخل ، فـ"الرحمن" يدري ظاهر الأمر وخفيه وما يحتك به من صغائر وكبائر الحاجات .

4 -**الميم**: عند هذا الفونيم يرتفع الصوت ليرسم خطا صاعدا إلى مخرج الشفتين ، وما تعلنانه في غنة جميلة يتدفق بها الأنف والميم مرقق مجهور ،يتصارع فيه أدب الطلب مع شدة النداء في هذه الكلمة .

5 -**الألف اللينة:** صوت حلقي , منحرف ,لين , أعطاه علماء القراءات مدة زمنين إلى أربعة أزمنة أو ما يعادل أربعة ثوان ، وفيه يمتد صوت الميم المفتوحة نحو الأعلى في دلالة على طلب العبد الضعيف رحمة الرحمن في عليائه .

6 -**النون:** لثوي ينحدر فيه الصوت قليلا ,يتصف بكونه أنفيا ,مجهورا ومتوسطا وهو أغن يعكس تآلفه مع ما سبق من الأصوات , جميل الدعاء وجميل الرحمة المرجاة ,التي يبسطها الباري - عز وجل – في جهر وعلى مرأى ومسمع كل الدنيا لكل الخليقة .

هكذا تتكشف بعض صفات الجمال الرحماني من خلال التناسب بين الصوت وحمولته الدلالية عبر التنقل من مقطع صوتي إلى آخر في لفظ "رحمن" فإذا ما أضفنا إليه نغمة "الصدى الحالم" وهو نغم

[180] محمد حسين علي الصغير : الصوت اللغوي في القرآن ،دار المؤرخ العربي ، بيروت ، ط1 ، 2000 ، ص:74.

قرآني يصاحب عادة آيات التأمل في الخلق أو تلك المصوبة نحو العاطفة الإنسانية الشفوقة ، تضاعف وزن الرحمة ، وزاد ثقل المعنى كثافة وحنوا في ذات الوقت .

إن لفظ "رحمن" وعند نقطة ارتكازه وهي" الألف اللينة " ذات الأزمنة الأربعة التي يستغرقها القارئ أثناء مده إياها ,لتطوف بالنفس في عوالم الرقة والمودة الإلهية ، بوضاءة ورضى يحملها نغم "الصدى الحالم " إلى قلب قارئ الآي الكريم وإلى نفس السامع للقراءة .

سيميائية لفظ "الرحمن" في السياق:

كما أن الكلمة علامة لغوية ذات وزن دلالي مستقل يختص بإضاءته المعجم، فهي أيضا علامة دالة تشع بمعان أجلى و أوضح في سياقها الذي ترد فيه ، و التناول السيميائي للسياق يبرز أن درجة تحكم العلاقة العلية بين الدال و مرجعه تجعل المتلقي في استغناء عن السياق الذي وردت فيه العلامة اللغوية ، أما إذا تجاذبتها دلالات مختلفة فإن السياق هو الفيصل في تحديد الغرض الدلالي.[181]

و لفظ " الرحمن" ورد في آيات كثيرة ، ينفث فيها أنفاس الحب الإلهي تارة ، و ينشر بين كلماتها عبق المودة بين المؤمنين في الدنيا و الآخرة أحيانا ، و فيما يلي غيض من فيض :

1- يقول عز من قائل : {قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا }مريم 18 في موقف العفيفة " مريم " من مخاطبها ، لا يسعها إلا أن تذكره – و هنا إشارة إلى خلق الطيبة ، إذ لم تصرخ و لم تعنف مخاطبها بل كلمته بحكمة فيها أنوثة مهددة و حياء جلي- بأن "الرحمن " و ليس الرحيم بالمؤمنين فقط- لأنها لا تدري إن كان مؤمنا أم كافرا - سيتولى جوارها ، و هو " الرحمن " الذي سيعصمه من فعل السوء إن كان مؤمنا و يعصمها ، إنها « تلجأ إلى الله تستعيذ به و تستنجد و تستثير مشاعر التقوى في نفس الرجل ، والخوف من الله و التحرج من رقابته في هذا المكان الخالي (...) فالتقي ينتفض و جدانه عند ذكر " الرحمن " و يرجع عن دفعة الشهوة و نزغ الشيطان » .[182]

1 – يقول تعالى : { قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا }مريم 75 و في مد المساحة الزمنية لضلال الضالين من قبل " الرحمن " لطف خفي بعباده ، إنه يمهلهم و يمنحهم الفرصة تلو الفرصة و العمر بعد العمر{حتى إذا رأوا ما يوعدون إما العذاب و إما الساعة فسيعلمون من هو شر مكانا و أضعف جندا }مريم 76 و بذلك يمسك رحمته عن الطغاة و يأخذهم بعذاب القوي الجبار.

3 -يقول تعالى : {إن الذين آمنو ا و عملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا}مريم 96 و في مجاورة " الود " للـ" رحمن" صلة حنو ، و رقة مشاعر تفيض على المؤمنين من ربهم " الرحمن"، يتنفسون عبق الأخوة الإيمانية و يتفيؤون « ظلالا ندية من الود السامي : ود الرحمن»[183].

4 -يقول تعالى : '(قل من يكلؤكم بالليل و النهار من الرحمن}الأنبياء 42 ، آية تطفح بالنعم و تغدق بمنة " الرحمن " فهو « الحارس على كل نفس بالليل و النهار ، وصفته هي الرحمة الكبرى و ليس من دونه راع و لا حام.»[184]

5 -و قول : {و عباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا}الفرقان 63 إن في إضافة " عباد" إلى " الرحمن" نسبة و قرابة قوامها خلق فضيل اختصت به طائفة مؤمنة ، أعطاها " الرحمن" كما هائلا من تجليات محامد الخلال « فها هم أولاء " عباد الرحمن" الذين يعرفون الرحمن و يستحقون ان ينسبوا إليه و أن يكونوا عباده. »[185]

---

[181] ينظر أحمد يوسف : السيميائيات الواصفة منشورات الاختلاف ،الجزائر ، ط1 ، 2005 ،ه ص: 109.
[182] سيد قطب : في ظلال القرآت ، م4 ، ج16 ، ص: 2305.
[183] ال المرجع ذاته ، م4 ، ج16 ، ص:2321.
[184] المرجع ذاته : ، م4 ، ج16 ، ص:2380.
[185] المرجع ذاته : ، م4 ، ج16 ، ص:2577.

6 -يقول أيضا: {إن يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم و لا ينقذون}يس23 حكمة بالغة ينطق بها الرجل المؤمن في ثقة كاملة بالله " الرحمن" و لا أدل على تمام الثقة بين العبد و ربه من مجاورة صفة " الرحمن " للـ"ضر "بعد "عن " الشرطية و ما تنوء به من استبعاد أذى يلحق المؤمن من ربه إلا في حال الابتلاء و ليس ذلك بضر و إن سمي به ، فهذا لا يعدو المعنى السطحي أو الظاهر للكلمة ، ومع ذلك فهو "الرحمن " الذي يحميه من كل ضر و« هل أضل من ممن ينحرف عن الخالق إلى آلهة ضعاف لا يحمونه و لا يدفعون عنه الضر حين يريد به خالقه الضر بسبب انحرافه و ضلاله. »[186]

عقب تناول الآيات الكريمة من زاويتي المعجم و الصوت و ما صاحب ذلك من دلالات قال بها المفسرون ، أو تجلت لنا – ببصر حديد جدا حدود المعرفة البشرية إزاء المعجزة الخالدة – لم يعد يخفى ما يحمله لفظ " الرحمن " من سيميائية موحية بتمام الرحمة ، و جمال عطاء الحب الإلهي لخلقه ، مؤمنهم و كافرهم، تقيهم و فاجرهم ، بل للشجر والحجر و الطير ، إنه الحلم الرباني يتدفق في ليونة و عطف و لطف ، ، تستقي به أحياء الكون و أمواته ، فلفظ " الرحمن " بتركيبته الصوتية المشكلة من " الراء " فيه تكرار نزول الرحمة لأن " الرحمن " لا يقطع مخلوقاته من فيوض عطائه ، فإذا انتبهنا قليلا إلى " الحاء " تتداعى إلى أذهاننا جملة من الألفاظ الحالمة كالحنو و الحلم و الحب ، ...إلخ ، و يتثل لنا مبدأ التصاقب عند " ابن جني " ، أما " الميم " و " النون" الأغنان ، فيكفيهما ا يتقاطر منهما من جمال الصوت و المخرج ، وفيه إشارة حسن و لطف تتعالى درجته بامتداد الميم ، و الذي تجسده " الألف اللينة " المصحوبة بـ"الصدى الحالم "حين ينادي المسترحم ربه " الرحمن " «بأزيز حالم ، ويحتفل بنداء يأخذ طريقه إلى العمق النفسي ، يهز المشاعر و يستدعي العواطف ، ناضحا بالرضا و الغبطة و البهجة »[187].

وهكذا نجد أن التركيبة الصوتية ل "رحمن" ليست اعتباطية في القرآن الكريم ، وهو كله بجميع آيه وكلماته وحروفه وأصواته منزه عن الاعتباطية بين الدال والمدلول ،لأنه ليس محض نص أدبي ،وإنما دليل علاقة إعجازية إنجازية غير أنه لا يفوتنا القول «بأن تناسب الأصوات سر من أسرار القرآن ، يدرك بالتذوق والإحساس أكثر مما يدرك بالتحليل والبحث الموضوعي ، وإن الدراسة التحليلية للصورة التي أنجزت بها الأصوات في نظم الآيات على اختلاف مخارجها وصفاتها من الجهر والهمس والشدة والرخاوة والقوة واللين وبيان أسرار تناسبها ، تحليل ذوقي يصعب إثبات نتائجه بالدليل الموضوعي المقنع»[188] لأن القرآن علامة سيميائية كبرى معجزة في ذاتها ، وما التفاسير او اللأعمال التأويلية له إلا محاولات خجلة تهدف إلى تبصرة العقل الإنساني بشيء من جوانب هذا الإنجاز وهذا ما حاولنا القيام به من خلال الجمع بين المعنى المعجمي والدلالي ، ودورانها على محور الصوت للفظ "الرحمن" ولا يزال القرآن الكريم بكل تمفصلاته ما ظهر وخفي منها مدار البحث اللساني ومساحة قدسية تتميز بقابليته للتناول بجميع المناهج البحثية من أسلوبية وسيميائية وبنيوية وتفكيكية وإن وجد غيرها فهو أرحب منها يستوعبها ويكشف بها عن شيء من أسرار ه لمن أراد الصيد في بحره والتقاط شيء من مكنوناته .

---

[186] المرجع ذاته : ، م4 ، ج16 ، ص:2964.
[187] محمد حسين علي الصغير : الصوت اللغوي في القرآن ،ص :177.
[188] أحمد أبو زيد : التناسب البياني في القرآن ، ص :146.